

نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٣

## احتجاج المهاجرين: البحث عن بدائل

فيليب أمارال

لا ينبغي تعريض صحة الناس ورفاههم للخطر باحتجاجهم؛ فالحكومات قادرة بدلاً من ذلك على استخدام بدائل مجتمعية تحفظ كرامة المهاجرين وغير مكلفة للدول.

عملياً، يلحق الاحتجاج أضراراً بالغة بكل من يتعرض له، حيث تُبين الدراسات العلمية التي أجريت على طالبي اللجوء المحتجزين أن الاحتجاج يزيد الأعراض السريرية الخطيرة تدريجياً لديهم، مثل: الاكتئاب الحاد والقلق واضطراب ما بعد الصدمة، وحتى إيذاء النفس. فمنذ قرابة العقد، وثق موظفو منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية والمتطوعون تلك النتائج من خلال الزيارات المنتظمة لمراكز الاحتجاج في جميع أرجاء أوروبا ورؤية اليأس والريبة والخوف والغضب بأنفسهم الذي يعيش فيه المحتجزون<sup>١</sup>. ولذلك، الاحتجاج مُدمر وغير ضروري؛ والحكومات قادرة على حل قضايا المهاجرين في المجتمع بدلاً من تعريضهم للإيذاء في مركز الاحتجاج. بيئة المجتمع المنفتحة.

ما تسميه الحكومات والمنظمات غير الحكومية «بدائل الاحتجاج» بسيطة في مجملها. فبدلاً من احتجاج المهاجرين في مركز الاحتجاج، يمكن استيعابهم في المجتمع وفرض قيود محدودة على تحركاتهم أو السماح لهم بالتنقل في أرجاء البلاد بحرية. ومع ذلك، للكلام أسهل من الفعل. حيث تشعر الحكومات بالقلق من احتمالية فرار المهاجرين إذا لم يُوضعوا رهن الاحتجاج، في حين تسعى المنظمات غير الحكومية جاهدة لإيجاد بدائل للاحتجاج وتبنيها وتقييم مدى ملاءمتها للمهاجرين. ولذلك السبب، أجرت منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية في عام ٢٠١١ بحثاً يدرس بدائل الاحتجاج في بلجيكا وألمانيا والمملكة المتحدة<sup>٢</sup>. وحاولنا التعرف على الحد الأدنى من العوامل التي تضمن نجاح بدائل الاحتجاج وذلك من خلال مقابلة المهاجرين أنفسهم.

عُقدت مقابلات مع خمس وعشرين مهاجراً في ثلاث من دول الاتحاد الأوروبي التي طُرِح في كل دولة منهم بدائل للاحتجاج تختلف عن البدائل المستخدمة لدى غيرها كالاتي:

بلجيكا: إيداع عائلات غير الحاملين للوثائق الرسمية وطالبي اللجوء في وحدات الإسكان المجتمعي وتكليف مديري الحالات بتولي مسئوليتهم.

ألمانيا: إيداع الأطفال غير المصحوبين ببالغين في منزل تشرف عليه الجمعية الخيرية بالكنيسة البروتستانتية التي تقدم لهم خدمات شاملة ودعمًا قانونياً.

بدأت ذي بدء، مهم للمهاجرين العيش في سكن كريم. فإذا لم يجد المرء مكاناً مناسباً للعيش فيه، سيجد صعوبة في التركيز على متطلبات إجراءات هجرته وتبليتها وسيكون معرضاً بذلك لخطر العوز.

ثانياً، تشتمل البدائل الناجحة على تقديم الدعم الشامل للمهاجرين. وعادة ما يأخذ ذلك النوع من الدعم شكل نظام إدارة الحالات الفردية الذي يقدم مجموعة من الخدمات، مثل:

الدعم الاجتماعي والمساعدة القانونية والدعم الطبي ورعاية الأطفال إذا لزم الأمر، الذي يهتم بتوفير الرعاية الفردية. فإذا توفرت الاحتياجات الأساسية للمهاجرين، مثل: الغذاء والملابس والمواصلات العامة والرعاية الطبية، سيصبحون أكثر قدرة على اتخاذ قرارات أوضح بشأن قضايا الهجرة الخاصة بهم.

ثالثاً، يجب أن يحصل المهاجرون على معلومات محدثة بانتظام ومصاغة بوضوح بقدر الإمكان. حيث يُؤدّل نقص المعلومات، أو حتى المعلومات الخاطئة، شعوراً بغياب الثقة ويثبط همم المهاجرين عن التعاون مع سلطات الدولة. أما توفر المعلومات على نحو منتظم فيعزز تطبيق الإجراءات على نحو أكثر فاعلية ويُسفر عن نتائج أكثر عدلاً وأسرع ويرفع معدلات امتثال المهاجرين.

أخيراً، يرتبط نجاح جميع العوامل المذكورة آنفاً بتطبيقها منذ الوهلة الأولى للجوء للشخص أو هجرته. فلا ينبغي التأخير في ذلك بقدر المستطاع. وقد تلمّس الحكومات الصريحة والشفافة

في تعاملها مع المهاجرين والتي تطلعهم على جميع الظروف والإجراءات والفرص المتاحة وتقدم لهم الدعم الشامل ارتفاع



نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٣

في المجتمع يقلل الضغط على المهاجرين وعلى الدول على حد سواء أكثر من حبسهم في مركز الاحتجاز. وقبل كل شيء، تحافظ البدائل على كرامة الإنسان وهو ما يُفترض أن تقوم به إجراءات الهجرة في المقام الأول.

فيليب أمارال [europa.advocacy@jrs.net](mailto:europa.advocacy@jrs.net) محام ومنسق للاتصالات في منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية [www.jrseurope.org](http://www.jrseurope.org)

١. انظر منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية، أن يصبح المرء مستضعفاً في الاحتجاز  
Becoming Vulnerable in Detention 2010

<http://tinyurl.com/JRS-Vulnerable-in-Detention>

٢. منظمة خدمات اللاجئين اليسوعية، من الحرمان إلى الحرية  
(From Deprivation to Liberty)

<http://tinyurl.com/JRS-Deprivation-of-Liberty>

٣. انظر تقييمات المشاريع التجريبية في غلاسكو وميلنك بالمملكة المتحدة

<http://tinyurl.com/JRS-UKpilots-evaluation>

٤. 75-80% امتثال، أي أن 20-25% من المهاجرين يفرّون. انظر الحاشية 2، ص 21.

معدلات امتثال المهاجرين نظراً لنمو ثقتهم تجاه السلطات. ولا يعني تقديم الدعم مسبقاً تعجيل إجراءات الهجرة ولكنه يضمن تعزيز المهاجرين جيداً من البداية.

وما زالت تثبت لنا البحوث التجريبية على نحو مقنع تضرر المهاجرين من الاحتجاز. ومن الناحية العملية، يشعر أي شخص محتجز بقدر عالٍ من الضغوط وأعراض القلق الحاد والاكئاب. ومع ذلك، تستمر الدول في احتجاز المهاجرين لاقتناعها بأنه أفضل الطرق للسيطرة على تدفقات اللجوء والهجرة. ولكن أثبتت الأبحاث التي أجريناها بأنفسنا وأجراها آخرون خوف الحكومات من فرار المهاجرين إن لم يحتجزوا ويُمنعوا من الاستقرار في البلاد. وعلاوة على ذلك، البدائل المجتمعية أقل تكلفة من الاحتجاز؛ ففي بلجيكا، على سبيل المثال، لا يساهم البديل في ارتفاع معدلات الامتثال وحسب،<sup>٤</sup> ولكنه يُقلص تكاليف احتجاز شخص واحد إلى النصف يومياً أيضاً. وإضافة إلى خفض التكاليف، حل قضايا الهجرة